



صوت الجنوب/23-01-2009

المهندس علي نعمان المصفر سرعة عجله الأحداث التي يشهدها الجنوب منذ 7 يوليو 1994 أنتجت واقع جديد ونوعي متميز، ليس فقط من خلال نضوج العامل الذاتي، بل والموضوعي أيضا، بني على قاعدة مفهوم العصبية، أنتجت العقلية السمحة للمجتمع الجنوبي، من حيث انتهاجه

طريق النضال الإسلامي، سلوكا حضاريا لاستعادته حقوقه المسلوبة، بل ورفضه للعنف، بديلا للتعصب، وهو الأمر الذي اكسب هذا المنهج دعما منقطع النظير من الشعب ذاته والمحيط الإقليمي والدولي، وعزز من الأرادة السياسية، ووسع الاضطفاف الوطني، ووفر حصانه لأدارته الانتفاضة الشعبية، ووفر كل عوامل الانتصارات التي تحققت في ساحة النضال الشعبي، بالرغم من شحه الأماكن، ونذره الروافد، وبالمقابل فأن الواقع في اليمن وبعصبية واقعه الاجتماعي والثقافي والاقتصادي شكل العقلية الخاصة به، تلك التي لم يكن من سماتها إلا التعصب واستخدام العنف وسيله للاستحواذ والإقصاء للآخر والرفض لما هو جديد باعتبار إن أي تحديث، يعد نهاية لها ومن ثم تتخذ من المقوه أنجع السبل لسيطرة الأقلية وهو ما حدث بالفعل على امتداد الصراع القائم بين اليمن الأسفل والداعلى. البون الشاسع بين العقليتين لم يتم دراسته قبل الهرولة إلى إعلان مشروع التوحيد، وظل على مدى ثلاثة أعوام ونصف أثناء المرحلة الانتقالية المزعومة ولازال حتى اليوم، موضع صراع بين العقليتين لعدم استيعاب مفاهيم تحديث الدولة المؤسساتية، ومجاعة روح التطور الإنساني من قبل نظام صنعاء، واعتبار كل قادم من الجنوب إلى صنعاء ليس إلما ضيفا إلى حين استكمال حلقات الإجهاز على ما تبقى من الجنوب بعدما أفرغت تدريجيا وعطلت بل دمرت مؤسسات دوله الجنوب على مرأى ومسمع من كان يدعي ذاته يوما وصيا على الجنوب، وهو ذاته كان ضحية لعملياته يمنية، مما أفقد بل أضاع قوى الحداثة من إحداث أي تقدم يذكر وغيبها تماما من أداره دفه التطور وأبقاها كسيحة في وحل قوى التخلف والجهل وافرغ ولأسف كل مضامين هذا المبدأ الإنساني والديني عن مضمونه الحقيقي واستحوذت قوى التخلف على كل نتائج الجهد الوطني وأصبحت مفردات الثورة والمجهرورية متاريس لها، وشعارات موت وخطوط حمراء وصفراء أمام

الشعب المسكين، وأصبحت [] الجمهورية والثورة والوحدة خنادق لقوى التخلف لحصد المزيد من المفيد على حساب عرق ودم الناس.

قد ربما واقع ما يسمى اليوم المحافظات الشمالية تم تدجينه في إطار الموروث، وتأسيسا عليه بنيت صيغ من مفاهيم العقلية بقدر انعكاسات الأحمال المزمنة للعقلية وتأثرها بواقع القوه والعنف، ترتب عنها الإقرار بالأمر الواقع والقبول به والإذعان له، وهو ما يمثل المشهد السياسي والاجتماعي القائم وحسب التركيبة الاجتماعية. ويعزى ذلك إلى عدم وجود دولة المؤسسات، ولما يمتلك النظام القائم لأي نية لخلق أرائه سياسية لتحقيق ذلك واعتماده على شيخ القبيلة، والفصل في أمور الدنيا والدين بما يمليه الشيخ وفي الأساس شيخهم الكبير، مما يمنح النظام سهوله التواصل مع الأفراد عبر قنوات الاتصال هذه، وسيطها شيخ القبيلة.

[] وفي الجنوب سادت عقلية تعدد الثقافات والقبول بالآخر وسيادة القانون وقبول الناس به والتعامل معه بروح العدل وتشبع المجتمع الجنوبي بالسلوك القانوني وفق المساحة التي حضنتها دولة القانون في مدى قرون وانفتاح الجنوب على العالم. هذا الواقع الحضاري رفض قطعاً قبول استخدام القوه عليه، وسلب وقرصنه ممتلكاته وحقوقه الانسانية، فكان مضطراً للخروج إلى الشارع، ليقول كلمته في ما يجري و بهدؤ. هنا كانت المفارقات الرهيبة والمدهشة، كلما أعتصم الجنوبي قابلية العقلية الأخرى بالقتل أو الجرح أو الاعتقال، وظل الجنوبي صابر يللم جراحاته ويداويها ببلسم الصدق والوفاء والانتماء إلى الأرض والتمسك بهويته.

عندما الجنوبي يطالب بحقه في الحياة يذرون الرماح في عيونه ويجعلونه يموت جوعاً، وهو يرى ما يسلبون وينهبون من أراضيهِ وثروته. إذا تجرأ بفتح فمه قطعوا لسانه، وحاولوا سجنه عنوه في معتقداتهم، تحت حجج أنه انفصالي وضد الوحدة. وحده من ولمن؟ غريب هذا الواقع المزري وأغرب منه مالم تصدقه العيون لما تشاهده، ولما الأذان لما تسمعه. استخدموا الفتوى بواسطة مشايخ تجاره الموت، ودمروا الجنوب وقتلوا أهله، واحتلوا أراضيهِ، والدين برئ منهم براءة الذئب من دم سيدنا يوسف عليه السلام، ومنذ والحرب الظالمة على الجنوب في صيف 1994، ولما الت دماء أبناء الجنوب تسفك تحت مظله فتاواهم، ولم يتم تقديم أي من القتلة حتى اللحظة إلى العدالة ليأخذوا جزائهم، وأصبح الجنوبي [] مجرم والمقاتل برئ.

وللأسف، أن نرى الجنوب على هذا الحال بعد مضي 45 عام من استقلاله، في أن يعود إلى [] القرون الوسطى، ويحزن المضمير الإنساني الحي، أن يلاحظ ما آلت إليه أحوال الجنوب اليوم، ولما زال البعض مخدر بوهم وسراب لا يمت بصله إلى ما يمليه المضمير ومالم تسمح به العقيدة السمحاء، لأستمراريه وضع كهذا ونعتبر ذلك وحده؟

من يعتقد أزاله برميل كرش ☐ للوصول لزيارة أقاربه أو المنزهة بين مناطق جغرافيه متجاورة، مقايضه، بل تجاهل ما يجري اليوم على حساب شعب بكامله، وأننا نعيش الوحدة، عليه أن يعالج أخطاءه، والاعتراف من أن أي مشروع من هكذا توحد، هو أن يحدث تطور مذهل في حياة الناس، لا أن يعودون إلى أدغال التاريخ يبحثون عن أساليب تحرير أنفسهم من الاستعباد والمظلم، فبرميل كرش صحيح أنه أزيل من الأرض لكنه أرتفع هرما إلى عمق الدماغ. وصدق المزعيم الخالد جمال عبد الناصر عندما قال كلمته الشهيرة في وحده مصر وسوريا على انه إذا كانت الوحدة ضد الجماهير ومصلحهم علينا مقاتلتها.

و عند مراقبه المشهد السياسي في الجنوب وقراءه نتائج المتطور المذهل، الذي حققته قوى الاستقلال، نخلص إلى حقيقة واحدة مؤداها أن الوضع في الجنوب بات اليوم ناضج تماما لجني ثمار هذا الجهد الوطني عبر تعزيزه و توحيدته في إطار الماصطفاف القائم لقوى الاستقلال، والتي مثلتها الرؤية الشاملة للأخوة في التجمع الديمقراطي الجنوبي وتشرب المبتيه الجنوبية بها والارتفاع إلى السقف المتاجي، وتوالي سلسله التكويزات الجنوبية على النحو الذي ذهب إليه تاج، وعززت الرؤية المتاجية، على نحو قوي دعم الموقف الشعبي وأسهم في خلق بلوره حقيقته لتطور مبدع للشارع السياسي، تجلى بوضوح في قيام المجلس الوطني الأعلى لقياده مسيره التحرير واستعادته دوله الجنوب، ولذلك على كل هذه القوى الحية يتطلب العمل في الأيام القليلة القادمة على إيجاد إليه متكاملة لردم أي فجوات ناتجة جرا التباينات، لما من شأنه إداره التباينات هذه، واستثمار ذلك لصالح تحقيق الهدف، ووضع حد لأي نزعات فريده، لتحسين العملية السياسية، بمشاركه واسعه لجميع الأطراف، لا لتحويلها إلى لعبه سياسية وتجييرها لطرف واحد عن غيره، ومن هنا يفرز الصالح من الطالح، ويتم الكشف عن المستور دون أي عمليات تجميل، حتى لا يتحول الأمر إلى صراع جنوبي جنوبي، وهو ما تراهن عليه سلطه 7 يوليو 1994، لؤاد الانتفاضة وتصفيه القضية الجنوبية، ☐ و تقدم ☐ لنظام صنعاء كهديه دون مقابل.

وأما من يتخوف من أن انفراط مسبحة النظام القائم، سيشنت فيه الجنوب ويجزأ وتعم الفوضى أرجاءه، عليه أدراك الحقائق على الأرض، التي تشهد عن نفسها، عكس ذلك في الماصطفاف الواسع لقوى الاستقلال، وأن تعددت الأوعية، لكنها تصب في وريد واحد لا سواه وريد الجنوب في الجسد الواحد وقلبه المناقض عدن، والتي ستظل محراب الحرية، ليعتلي فنارها هامات المجد، ولتوضع صورتها على ثرى قبر كل شهداء الاستقلال الأول والثاني، تتويجا لخروج الجنوب وإلى الأبد من جلياب الظلام إلى النور، ليعود إلى مفصله الحقيقي في تطوره الإنساني.

• كاتب وباحث أكاديمي

• لندن في 21 يناير 2009

alimasfary@hotmail.com